ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 09 العدد: 01(2024) ص 470-487

التلاقح المعرفي بين البلاغة العربيّة والدرس التداوليّ- نماذج تطبيقيّة

Cognitive integration between Arabic rhetoric and the pragmatic lesson - applied models

محمّد بولخطوط

جامعة محمّد الصدّيق بن يحيى- جيجل (الجزائر)

mohammed.boulekhtout@univ-jijel.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
03 مارس 2022

تاريخ القبول:
30 ماي 2022

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التلاقح المعرفيّ
- ✓ البلاغة العربيّة
- ✓ التداوليّة

الملخص:

يتناول هذا المقال مسألة التكامل المعرفيّ القائمة بين مباحث البلاغة العربية القديمة، واتجاهات الدرس التداولي الحديث، وخصوصا عند ما يعرف بنظرية الأفعال الكلامية، وما تحمله من تصوّرات ثبتت معالمها في فكر علماء البلاغة القدامى؛ إذ نتج عن التلاقح بين الحقلين دراسة بينية معاصرة، أصبح يطلق عليها تسمية: البلاغة الجديدة.

Article info

Received
03March 2022

Accepted
30 May 2022

Keywords:
- ✓ *Cognitive integration*
- ✓ *Arabic rhetoric*
- ✓ *pragmatics (deliberative)*

Abstract :

This article deals with the issue of cognitive integration that exists between the topics of ancient Arabic rhetoric, and the trends of the modern pragmatic lesson, especially when it comes to what is known as the theory of speech acts, and the perceptions it carries whose features were proven in the thought of the ancient rhetoricians; As a result of the integration between the two fields, a contemporary interdisciplinary study came to be called: the new rhetoric.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

تعدّ نظرية الأفعال الكلاميّة حلقة الوصل بين البلاغة العربيّة والدرس التداولي؛ ولعلّ أبرز مواضع هذا التقاطع ما يُعرف بـ: الأغراض التخاطبيّة للأساليب الخبرية أو الإنشائيّة، فمعلوم أنّ الكلام العربي قد يأخذ أشكالا تعبيرية مختلفة، يتدخّل في تنوّعها الحال التي يكون عليها المتكلّم أثناء الاستعمال اللغوي شفاهة أو كتابة، إلى جانب مختلف السياقات المحيطة بالعبارة اللغويّة، ما دام أنّ لكلّ مقام مقال؛ فقد يكون الغرض المقصود من العبارة التلفّظيّة هو المعنى ذاته الذي يُستشفّ من خلال شكلها الظاهري (فعل كلامي مباشر)، كأن يشتمل التركيب اللغوي مثلا على أداة أمر، ويكون الغرض المراد إيصاله فعلا يدلّ على طلب القيام بالفعل على وجه الإلزام والاستعلاء، كما قد يكون غير ذلك؛ أي أن يخالف المعنى الظاهري للعبارة (القوّة الإنجازيّة الحرفيّة) المعنى الباطني المقصود فعلا (القوّة الإنجازيّة المستلزمة)، وهنا نكون بصدد مخالفة الظاهر لمقتضى الحال (فعل كلامي غير مباشر)، كأن يشتمل التركيب اللغويّ مثلا على أداة من أدوات الاستفهام، الأمر الذي يوحي للمتلقّي قارئا كان أو مستمعا، أنّ الغرض في هذه الحالة سيكون لا محالة الاستجواب وطلب الفهم، وهذا استنادا على حرفيّة العبارة والشكل الظاهريّ للكلام (البنية السطحية)، غير أنّ المقام يتدخّل ههنا بشكل أو بآخر لينزاح به من المعنى الذي أُنشئ الأسلوب لأجله حقيقةً، إلى غرض بلاغي آخر يستدعيه السياق العام الذي وُضع فيه الكلام، كأن يكون تحذيرا أو استبطاء أو تهديدا أو تقريرا أو نفيا أو تمنّيا، وغيرها من المعاني السياقيّة والأغراض المجازيّة الأخرى. وهذا ما نروم في هذه الورقة البحثية لمعالجته، وذلك بعد تحديد المفاهيم التي تنبني عليها الدراسة، على غرار تلك المفاهيم المتعلّقة بالبلاغة العربيّة، وكذا بالدرس التداوليّ، ومحاولة إيجاد نقاط التواشج، ومواطن التكامل والتراسل القائمة بين الحقلين، مع عرض أمثلة توضيحية من القرآن الكريم، للتأكيد من استفادة كل حقل من معارف ومباحث الحقل الآخر.

وفي هذا المقام كان لابدّ من طرح التساؤل التالي: **هل فعلا يوجد تلاقحا معرفيا بين الدرسين البلاغي القديم والتداولي الحديث؟ ما طبيعة هذا التلاقح إن وجد؟ هل هو ثنائي متبادل؟ أم فردي ناتج عن تأثّر اللاحق بالسّابق؟**

1. تحديد المفاهيم

1.2 ماهية البلاغة:

2. 1.1 مفهوم البلاغة:

2. 1.1.1 لغة:

ورد في معجم "الوسيط" لمجمع اللغة العربية في باب تفسيره لمادّة "بَلَغَ": «بَلَغَ الشجرُ بُلوغًا وبَلاغًا: حان إدراك ثَمَرِه، والغلام: أَدْرَكَ، والأمر: وصل إلى غايته، ومنه (حكمة بالغة)، والشيء بُلُوغًا: وَصَلَ إليه، بَلُغَ بَلَاغَةً: فَصُحَ وحَسُنَ بيانه فهو بَليغٌ (ج) بُلَغَاء، ويقال: بَلُغَ الكلام (أَبْلَغَهُ) الشيء وإليه: أوصله إليه (...) تَبَلَّغَ بكذا: اكتفى به، والشيء: تكلّف البُلوغ إليه حتّى بَلَغَه، البَلاغ: التَّبْلِيغُ ومنه ﴿**هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ**﴾، وما يُتوصّل به إلى الغاية، ويقال: في هذا الأمر بلاغٌ: كفاية (...)، والبلاغة: حسن البيان وقوّة التأثير، وعند علماء البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته...».[1]

يبدو من خلال هذا التعريف أنّ البلاغة في اللغة تدلّ على معنى الوصول والانتهاء وتحقّق الغاية، ولعلّ من معنى "بلوغ الهدف المقصود" اشتقّ المصطلح ودرج استعماله فيه، يقول "أبو هلال العسكري" (ت: 395هـ) معلّلا سبب تسمية البلاغة بهذا الاسم: «كما أنّ البلاغة في قولهم: بلغت الغاية: إذا انتهيت إليها، وبلّغتها غيرى، ومبلغ الشيء منتهاه، والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته، فسمّيت البلاغة بلاغةً؛ لأنّها تُنهي المعنى إلى قلب السّامع فيفهمه».[2]

2. 1.1.1 اصطلاحا:

تقع البلاغة في الاصطلاح وصفا للكلام وللمتكلّم فقط دون الكلمة لعدم السماع، فأمّا **البلاغة في الكلام**: «مطابقته لما يقتضيه حال المخاطب، مع فصاحة ألفاظه

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

"مفردها ومركّبها"؛ وحال الخطاب "ويسمّى المقام" هو الأمر الحامل للمتكلّم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة، والمقتضى "ويسمّى الاعتبار المناسب" هو الصورة المخصوصة التي تورَد عليها العبارة».[3]

مثال توضيحي: المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكلٌّ من المدح والذّكاء "حال ومقام"، وكلّ من الإطناب والإيجاز "مقتضى"، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز "مطابقة للمقتضى"، وليست البلاغة إذن منحصرة في إيجاد معان جليلة، ولا في اختيار ألفاظ واضحة، بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرا ثالثا (هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ، ممّا يكسبها قوّة وجمالا).[4]

إنّ البلاغة كعلم إنّما جاء ليبيّن كيفية إفهام السامع بأسلوب بعيد عن أيّ لبس أو غموض، بمعرفة الظروف والملابسات المحيطة بالمقام والسياق الذي يرد فيه الكلام، وقد أعطت أهمّيّة للسامع، لأنّه يمثّل الهدف الأسمى للبلاغة، حيث أخذت تبحث في العناصر التي تساهم في نجاعة الخطاب، وإيصاله إلى السامع بأيسر الطرق، وأوضح السبل.

وأمّا **بلاغة المتكلّم** فهي: «ملكة في النّفس، يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أيّ معنى قَصَدَه، وتلك غاية لن يصل إليها إلاّ من أحاط بأساليب العرب خُبرًا وعرف سُنن تخاطُبهم في مُنافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم، واعتذارهم، ليلبس حالة لبُوسها "ولكلّ مقام مقال"».[5]

2.2 أساليب الكلام البلاغية:

يتوزّع الكلام البشري من الناحية البلاغية على لونين؛ فإمّا أن يكون خبرا، وإمّا أن يكون إنشاء، ولا يمكن له أن يتجسّد في صورة ثالثة على غير ما ذُكر.

2. 1.2 الخبر

2. 1.1.2 مفهومه: هو عبارة عن «قول يحتمل الصدق والكذب، ويصحّ أن يقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب، والحكم على صدق الخبر وكذبه يكون بمطابقته للواقع، أو عدم مطابقته، دون النظر إلى نيّة القائل أو اعتقاده أو غير ذلك».[6]

ومعناه إذا أردت التأكّد من صحّة الخبر أو بطلانه، فعليك بالنظر إلى الكلام نفسه، لا إلى صاحب الكلام الذي نقل إليك فحواه (الخبر).

فلو قال لنا قائل: "المطر يهطل" فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب، فإذا خرجنا من البيت وتأكّدنا من هطول المطر فالخبر صادق، وإذا لم نر المطر فالخبر كاذب، ولا عبرة لشخصية المخبر في الحكم على كلامه صدقا أو كذبا، كذلك لا عبرة لو قال: "إنّي رأيت السّماء ملبّدة بالغيوم، والهواء مشبّعا بالرطوبة" وتراءى لي أنّ الصوت الذي أسمعه صوت مطر، ولذلك فأنا صادق لأنّي أخبر عمّا اعتقدت، ولكنّنا لا نأخذ بهذا المقياس، ونكتفي بمقارنة الخبر بالواقع، فما وافقه فهو الصادق، وما خالفه فهو الكاذب.[7]

2. 2.1.2 أركانه:

لكلّ جملة من جمل الخبر ركنان: محكوم عليه، ومحكوم به؛ ويسمّى الأوّل: مسندًا إليه، والثاني: مسندًا، وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصّلة فهو قيدٌ.[8]

فأمّا المسند في الجمل فقد يكون: الفعل التّام، المبتدأ المكتفي بمرفوعه، أو خبر المبتدأ، أو ما أصله خبر المبتدأ، كخبر كان وأخواتها، أو المصدر النائب عن فعل الأمر.

وأمّا المسند إليه فقد يقع: فاعلا أو نائبا له، المبتدأ الذي له خبر، أو ما أصله مبتدأ كاسم إنّ وأخواتها.

في حين تنحصر قيود الجملة في: المفاعيل الخمسة، الأفعال الناسخة، أدوات الشرط والنفي، الحال، التمييز، النعت، العطف، البدل، والتوكيد.

2. 3.1.2 أغراضه:

ونعني بذلك الغرض الذي نقصده حينما نلقي أيّ خبر من الأخبار؟ وما هي الفائدة التي نبتغيها حينما نخاطب بهذا الخبر من نخاطب؟

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

على هذا الأساس، يمكن حصر إلقاء الخبر في غرضين أساسيين هما:[9]

- أهمّ غرض يقصده ناقل الخبر إنّما هو الفائدة؛ أي فائدة المخاطب، كقولي مثلا: تمتاز اللغة العربية عن غيرها، وكذلك: الحرف له خصائصه، العربية لغة الإيجاز، المسافة بيننا وبين الشمس أضعاف ما بيننا وبين القمر، كان أبو العلاء وابن جنّي معجبين بالمتنبّي، ففي هذه الأخبار جميعها؛ إنّما أبتغي إفادة المخاطب، وأنا أُعَرِّفُه بهذه الأمور، ويسمّى هذا **فائدة الخبر.**

- وقد لا يكون الغرض من إلقاء الخبر فائدة المخاطَب؛ لأنّ المخاطَب عالم به، وإنّما الغرض أن أُشعر المخاطَب بأنّني عالم بهذا الخبر، لست أجهله؛ كما إذا عرفت أنّ فلانا كان مسافرا وقدم من سفره، فأقول له: أنت قدمت من سفرك أمس، وقد أقول للطالب: أنهيت الامتحان قبل يومين. فالمسافر والطالب لا يجهلان هذا الخبر، لكنّني أردت أن أخبرهما بأنّني على علم بخبريهما، وإنْ كتماهما عنّي، ويسمّى هذا **لازم الفائدة.**

وهذا الغرض الأخير متوقّف على الذي قبله؛ لأنّني حينما أخبر المخاطب بشيء يعلمه، فمعنى هذا أنّه قد حصلت له فائدة الخبر.

وعليه، فإنّ للخبر غرضين؛ فإذا كان المخاطِب يخاطب جاهلا يودّ إخباره بشيء لا يعرفه ولا يعلمه، فهو بهذه يكون غرضه الفائدة لا أكثر، أمّا إذا كان المخاطِب يريد إعلام المخاطَب بأنّه هو الآخر عارف بفحوى الخبر الذي سينقله إلى مسامعه، فهو حينئذ لا يبغي الفائدة، بل لازمها.

2. 4.1.2 أضربه:

يأخذ الأسلوب الخبري عدّة أشكال تبعا لحال المخاطَب، وعلى هذا الأساس يمكن التمييز له بين الأضرب التالية:[10]

- إذا كان المخاطَب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والتردّد فيه؛ استغني عن مؤكّدات الحكم، كقولك: "جاء زيد، وعمرو ذاهب"، فيتمكّن في ذهنه لمصادفته إيّاه خاليا.

- وإن كان متصوِّر الطّرَفَين، متردّدا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبا له؛ حَسُنَ تقويته بمؤكّد، كقولك: "لَزَيْدٌ عَارِفٌ" أو "إنّ زيدا عارف".

- وإن كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار؛ فتقول "إنّي صادق" لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، و"إنّي لصادق" لمن يبالغ في إنكاره.

- ويسمّى النوع الأوّل من الخبر **ابتدائيا**، والثاني **طلبيّا**، والثالث **إنكاريا**، وإخراج الكلام على هذه الوجوه إخراجا على مقتضى الظاهر.

ومؤكّدات الخبر كثيرة ومتعدّدة منها: إنّ، أنّ، لام الابتداء، السين، سوف، أمّا الشرطية، حروف القسم الثلاثة، حرفا التنبيه، الحروف الزائدة، إنّما، تكرار اللفظ، ضمير الفصل، نونا التوكيد، اسمية الجملة، ...الخ.

إنّ ورود الخبر على إحدى الصور المذكورة أعلاه هو الأصل في الكلام، وحينها يكون **الكلام مطابقا لمقتضى الحال**، أمّا إذا غاير إحدى الأضرب المذكورة، فإنّه في هذه الحالة يكون قد **خالف مقتضى الظاهر**، ليتدخّل المقام حينئذ في تحديد الغرض المقصود من إلقاء الخبر، وتعدّ هذه المسألة وجها من أوجه التقاطع المعرفي بين البلاغة العربية القديمة والدرس التداولي الحديث، فحينما يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال نكون أمام القوّة الإنجازية الحرفية (المعنى الحرفي= الظاهر)، أمّا إذا كان مخالفا لمقتضى الظاهر، فإنّنا نكون أمام القوّة الإنجازية المستلزمة (المعنى المضمر= الباطن).

2. 2.2 الإنشاء

2. 1.2.2 مفهومه: هو عبارة عن «قول لا يحتمل الصدق والكذب، ولا يصحّ أن يقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب».[11]

فالإنشاء يختلف عن الخبر، لأنّ هذا الأخير يمكن الحكم عليه بالصحّة أو الكذب لوجود ما يطابقه أو يخالفه في الواقع، غير أنّ الإنشاء هو ذلك الكلام الذي يحصل مضمونه بمجرّد التلفّظ به، فهو إذن يختلف عن الخبر في كونه لا يحتمل الصدق

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أو الكذب لذاته، ولم يكن لنسبته خارج قصد حكايته، كقولك لأحدهم "أطع والديك" فهذا أسلوب إنشائي ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجيّ يطابقه أو لا يطابقه، فهو بهذا لا يدعو إلى الشكّ والريب، لذا فلا يمكن الحكم على صدقه أو بطلانه.

2. 2.2.2 أقسامه:

ينقسم الإنشاء إلى قسمين:[12]

- **الإنشاء الطلبيّ:** وهو الكلام الذي يُلقى لإيجاد مطلوب غير متحقّق في الخارج باعتقاد المتكلّم، ولو كان الشيء متحقّقا في الخارج لقبح طلبه عقلا، ووجب إرادة معنى آخر غير الطلب، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا**﴾، فإنّ المراد دوام الإيمان أو توثيقه، وهو خمسة أصناف: الأمر، النهي، الاستفهام، التمنّي، النداء.

- **الإنشاء غير الطلبيّ:** وهو ما لا يُلقى لإحداث مطلوب غير متحقّق في الخارج، وله أصناف مختلفة منها:

- **صيغ المدح والذمّ**، مثل: نعم، بئس، حبّذا، أو لا حبّذا، وغيرها.
- **التعجّب**، وله صيغتان قياسيتان هما: "ما أَفْعَلَهُ"، و"أَفْعِلْ به"، وله صيغ سماعية، نحو قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ...**﴾ [سورة البقرة، الآية: 28].
- **القسم**: ويكون بالواو والتاء والباء وبغيرها.
- **الرجاء:** وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع، ويكون بعسى، وحرى، واخلولق.
- **صيغ العقود والإيقاعات**، مثل: "بعتُ، واشتريتُ، ونكحتُ" لإنشاء التزوّج "وطلّقتُ ووهبتُ وقبلتُ...".

والفرق بين العقد والإيقاع هو أنّ العقد لا يتحقّق إلّا فيما إذا صدر من شخصين، كما في عقد البيع، بخلاف الإيقاع فإنّه يتحقّق من شخص واحد، كالطلاق، فإنّه يقع وإن لم ترضَ به الزوجة.

إنّ الفرق بين الإنشاء الطلبيّ وغير الطلبيّ فرق واضح وجليّ، ففي الأوّل يتأخّر وجود معنى الجملة عن وجود لفظه، أمّا في الثاني فيتحقّق وجود معناه في الوقت ذاته الذي يتحقّق فيه وجود اللفظ، ولما كان هذا الأخير أقرب من الأسلوب الخبري منه إلى الأسلوب الإنشائي؛ ما قلّل الفوائد البلاغية المستنبطة من صيغه المذكورة أعلاه، فقد درج البلاغيون إلى إخراجه من حيّز البلاغة، واكتفوا فقط بالنوع الأوّل لكثرة أغراضه ومعانية.

2.2 ماهية الدرس التداولي

2. 1.2 مفهوم التداولية:

2. 1.1.2 لغة:

جاء في معجم "لسان العرب" لـ "ابن منظور" (ت: 711هـ) في تفسيره لمادّة "دَوَلَ": «... تَدَاوَلْنَا الأمر: أخذناه بالدول، وقالوا: دواليك، أي مُدَاوَلَة على الأمر (...)، وَدَالَتْ الأيّام أي دارت، والله يُدَاوِلُهَا بين النّاس، وتَدَاوَلَتْهُ الأيدي: أخذته هذه مرّة وهذه مرّة...».[13]

إذن، تحيل "التداولية" في اللغة على معنى التداول؛ أي استعمال الشيء بينك وبين غيرك، مرّة أنت ومرّة هو، بمعنى آخر: المشاركة والتعاقب بين الأيدي، كما أنّها تحمل في طياتها دلالات من قبيل: التبدّل والتحوّل والانتقال من موضع إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى.

2. 2.1.2 اصطلاحا:

تهتمّ التداولية أساسا بدراسة اللغة أثناء عملية التواصل ضمن سياق معيّن، فهي بهذا المفهوم "علم اللغة الاستعماليّ"، وهذا هو المعنى الذي ذهب إليه أكثرية الباحثين والمفكّرين، وهو المنهج عينه الذي سلكه "طه عبد الرحمن"، إذ نجده يقول أثناء تحديده لمفهوم المصطلح: «التداوليات نظرية "استعماليّة"، حيث تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها، و"تخاطبيّة" تعالج شروط التّبليغ والتّواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء هذا الاستعمال للّغة».[14]

إنّ التداولية بهذا المفهوم تدرس حياة العلامات في الاستعمال، كما أنّها تعنى بكيفيات أداء اللغة وعمليات التأثير على السامع، فضلا على اهتمامها بمختلف العناصر التي تحذر الخطابات وتعزّز مسألة استهلاكها، فبذلك يمكننا أن نتقرّب

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

من أيّ خطاب، ونعرف العناصر والوسائل التي يكتنزها، والتي تلعب دورا فاعلا في تحقيق تواصل أمثل، وهي: المرسل (المتكلّم/ المخاطِب)، المرسل إليه (المتلقّي/ المخاطَب)، الرسالة (الكلام/ الخطاب)، والمرجع (السياق/ المقام).

ثمّ إنّنا حينما نتحدّث عن مقام تواصلي، فهذا لا يعني أن نكتفي في عملية التداول فقط بتلك العناصر اللغوية، بل توجد في المقابل عناصر أخرى غير لغوية لها دورا حاسما في العملية، كملامح الوجه، الألوان، ومقام وظروف التخاطب.

يتّضح لنا أيضا من خلال تعريف "طه عبد الرحمن" السابق ذكره أنّه آثر توظيف مصطلح "التداوليات" بالجمع لا بالمفرد، وفضّل استعماله مقابلا للمصطلح الأجنبي Pragmatique بدلا عن غيره من المصطلحات الكثيرة التي قابلت مصطلح "التداولية" في الثقافة العربية على غرار: البرغماتية، الذّرائعية، الاستعمالية، التخاطبيّة، النفعيّة، الوظيفيّة، السياقيّة، التبادليّة، وفي هذا الصدد يكشف لنا "طه عبد الرحمن" عن سرّ هذا الاستعمال قائلا: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)، لأنّه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»[15]، ثمّ بعد ذلك ينتقل إلى تحديد معنى التداول قائلا: «هو وصفٌ لكلّ ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التّراث، من عامّة النّاس وخاصّتهم».[16]

2. 2.2 نشأة الدرس التداولي: يعود مصطلح التداولية Pragmatique بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس (Charles Morris) الذي استخدمه سنة 1938م، دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيميائيات (Semiotics)، وهذه الفروع هي:[17]

- علم التراكيب (Syntactics أو Syntax): وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
- علم الدلالة (Semantics): وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدلّ عليها، أو تحيل إليها.
- التداولية: وتهتمّ بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.

إذن، فقد انبثقت التداولية من حقل أعمّ هو السيميولوجيا، غير أنّ الفرق بينهما واضح بيّن، فالسيميولوجيا يهتمّ بدراسة الدوال والمدلولات والعلاقة بينهما، في حين تختصّ التداولية بالبحث في استعمال هذه الدوال.

على أنّ التداولية لم تصبح مجالا يُعتدّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلّا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد وهم: "أوستين" (J.L.Austin)، و"سيرل" (J.R.Searle)، و"جرايس" (H.P.Grice) (مع أنّ سيرل وجرايس أتمّا تعليمهما في كاليفورنيا)، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية matural language أو العادية ordinary، في المقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية formal language التي يمثّلها "كارناب" (Carnap) ، وكانوا جميعا مهتمّين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ المرسل رسالة إلى مستقبل يفسّرها، وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التداولية أيضا، ومن الغريب أنّ أحدا منهم لم يستعمل مصطلح التداولية فيما كتب من أبحاث.[18]

توزّع الدرس التداولي الغربي على عدّة نظريات، تمحورت كلّها حول أحد أقطاب الثلاثية "لغة، مقام، مقصد"، ولعلّ أبرز هذه النظريات ما يعرف بنظرية الأفعال الكلامية، والتي تعدّ محور دراسة هذه الورقة البحثية.

2. 3.2 أسس الدرس التداولي من خلال أفعال الكلام:

يعدّ موضوع أفعال الكلام من المواضيع الجديدة التي عرفها الحقل المعرفي الحديث، جاء به الفيلسوف البريطاني المعاصر "جون لانجشو أوستين"، وقام بتطويره من بعده تلميذه الأمريكي "جون روجرز سيرل".

هذا، ويمكن تحديد مفهوم الفعل الكلامي بكونه: «كلّ ملفوظ يفضي التلفظ به في شروط معينة إلى حدث أو فعل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ينتج هذا الفعل آثارا قد تكون لغوية وقد تكون غير لغوية».[19]

من المعلوم أنّ النّاس يختلفون من حيث أجناسهم وألوانهم وطبائعهم ومعاملاتهم، وهذه هي سنّة الحياة، بل يتعدّى اختلاف البشر حتّى في كلامهم؛ فمنهم من يقول ما يقصد، ومنهم من يقصد بكلامه أكثر ممّا يقول، وهناك صنف آخر قد يقصد عكس ما يقول تماما، في المقابل يمكن للمخاطَب أن يسمع شيئا ويفهم شيئا آخر، من أجل ذلك وجب أن يكون التحاور بين المتخاطبين ضمن مقام معين، يحكمه سياق محدّد يضبط الاستعمال اللغوي داخل السلسلة التواصلية، وذلك من منطلق أنّه لا قيمة للكلام أثناء التداول، حينما يكون بعيدا عن السياق والظروف المختلفة المحيطة به، وكذا زمان ومكان التخاطب، كلّ ذلك من شأنه أن يوضّح مقاصد المتكلّم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطَب، ولعلّ هذا ما يُنتج في ذهن المخاطَب استلزاما يحاول من خلاله الوصول إلى مراد المتكلّم،

من هذا المنطلق صار ممكنا التمييز بين نوعين من الفعل اللغوي:

- **الفعل الكلامي المباشر:** هو الحدث الكلامي أو الخطابي الذي يدلّ عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة وحرفية، مثل قولنا: "أُخرج" التي تعني أمر أحدهم بمغادرة المكان، أو قولنا "كم الساعة" التي تعني طلب الحصول على معرفة بخصوص الوقت، وعلى هذا فإنّ الفعل الإنجازي المباشر هو الذي يعتمد المتكلّم من أجل تحقيقه والمخاطَب من أجل اكتشافه، والتعرف على ما تحتويه البنية اللسانية الشكلية للملفوظ مباشرة.[20]

وببساطة فإنّ الفعل الكلامي (اللغوي) المباشر (الحرفي/ الصريح/ معنى الاقتضاء) إنّما يتحقّق حينما يستنبط المستمع من العبارة اللغوية المنجزة ما يقصده المتكلّم منها مباشرة، بحيث يكون قصد المتكلّم واضحا من العبارة، وهو نفسه الذي يفهمه المتلقي (لا ينشئ كلاما ويقصد به شيئا آخر غير ما توحي به ألفاظه)، مثال ذلك: "لا تقترب من النّار"، عبارة إنجازية يوجّهها الأب لابنه في مقام النّهي؛ فالأب هنا يقصد من هذه العبارة تحذير ابنه ونهيه عن الاقتراب من النّار، وهو المعنى عينه الذي يتوصّل إليه الابن، والذي بدوره يقوم بتحويل هذا القول إلى فعل لغوي إنجازي من خلال ابتعاده عن النّار.

وفي هذا النوع يتقاطع الدرس التداولي مع البلاغة العربية، **حينما يكون الغرض من الكلام مطابقا لمقتضى الحال**؛ أي المعنى الحقيقي المستنبط من حرفية العبارة لا المعنى المجازي المضمر (المعنى البلاغي).

- **الفعل الكلامي غير المباشر:** نصادف في الحياة كثيرا من العبارات لا يتطابق معناها الدلالي مع المعنى الذي رغب المتكلّم في التعبير عنه، من مثل قولنا: "صباح الخير" في مقام معين لا يتناسب مع استخدام العبارة للتحيّة الصباحية، وإنّما قد يفصح المقام عن استخدام هذه العبارة للسخرية والتهكّم، وفي هذه الحالة نقول عن المتكلّم إنّه قد حقّق فعلا إنجازيا غير مباشر، عندما يحقّق في الواقع فعلين لغويين إنجازيين مختلفين من خلال ملفوظ واحد، كأن يقول مثلا: "هل تستطيع أن تناولني الملح"، ويكون قصده ليس للسؤال الذي هو القوّة الإنجازية الحرفية المباشرة لأسلوب الاستفهام، وإنّما هو الالتماس.[21]

وعليه فإنّ الفعل الكلامي غير المباشر (غير الحرفي، الضمني، معنى الاستلزام) إنّما يتحقّق حينما لا يتطابق المعنى الدلالي للعبارة اللغوية، مع المعنى الذي يرغب المتكلّم في التعبير عنه، بمعنى أنّ المتكلّم هنا يقول شيئا ويقصد به شيئا آخر غير ما قاله، مثال ذلك قول المتكلّم لآخر في وقت متأخر من الليل داخل غرفة واحدة: "إنّي متعب"، فمعنى المتكلّم هنا ليس هو الإخبار بالتعب فحسب، وإنّما يريد بطريقة غير مباشرة ـ ربّما بهدف عدم إحراج المتحدّث ـ أن يُعلِمَه بضرورة التوقّف عن الكلام، وكأنّه يريد أن يقول له مثلا: دعني أنم، وهذا المعنى ـ في الحقيقة ـ لا يُستقَى من البنية وحدها وهي الجانب اللغوي منه، بل من الجانب السياقي أيضا (ملابسات الاستعمال والتواصل)، وهذا ما يعرف عند "بول غرايس" بـ: الاستلزام الحواري.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي هذا النوع يتقاطع الدرس التداولي مع البلاغة العربية، **حينما يكون الغرض من الكلام مخالفا لمقتضى الظاهر**؛ أي عندما ينحرف التركيب من معناه الحقيقي الذي وُضع الأسلوب الكلامي من أجله، إلى غرض مجازي آخر لا يمكن استنباطه من حرفيته، بل من خلال الاستعانة بالمقام والظروف السياقية المحيطة بالسلسلة الكلامية عامّة (حيثيات الاستعمال والتواصل).

هذا، وقد قسّم "أوستين" في بداياته الأولى الجمل إلى وصفية (خبرية)، وأخرى أدائية (إنشائية)، حيث كان يرى بأنّ: «الجمل الخبرية هي الجمل التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الإنشائية هي التي يتمّ الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق، ومن ثمّ لاحظ أنّ المقابلة بينهما ليست بالبساطة التي كان يظنّها، وقد قادته هذه الملاحظة إلى الإقرار بأنّ كلّ جملة تامّة مستعملة تقابل إنجازا لغويا واحدا على الأقلّ».[22]

ألا ترى أنّ منطلق هذا التقسيم بلاغي بحت؟ ممّا يدعو للإقرار بالتلاقح المعرفي بين الدرس البلاغي القديم والدرس التداولي الحديث؛ فقد شكّل ما أسماه "أوستين" بالجمل الوصفية والأدائية مبحثا بلاغيا اهتمّ به الفرع الأوّل من علم البلاغة وهو علم المعاني، فالخبر هو كلّ كلام يحتمل الصدق أو الكذب، وهذا ما اصطلح عليه "أوستين" بالجمل الوصفية، في حين أنّ الإنشاء هو كلّ كلام لا يصلح الحكم عليه بالصدق أو الكذب وهذا ما يعرف بالجمل الأدائية أو الإنجازية عند "أوستين" .

غير أنّ "أوستين" رفض هذا التقسيم الذي أتى به في بداية دراسته حول الفعل الإنشائي والفعل التقريري، وخلص إلى أنّ كلّ قول عمل، ولا يوجد ــ إن أمعنّا النظر ــ جمل وصفية، كما رأى أيضا أنّه لما كانت الأقوال أعمالا، فإنّه يتعذّر الحكم عليها بالصّدق أو الكذب.[23]

وعليه فكلّ العبارات الملفوظة إنجازية، وهي على نوعين:[24]

- **إنجازية (صريحة /مباشرة)**: فعلها ظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلّم.
- **إنجازية (ضمنية /غير مباشرة)**: فعلها غير ظاهر، نحو قولنا: الاجتهاد مفيد= (أقول) الاجتهاد مفيد= آمرك أن تجتهد، ونحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [سورة الحديد، الآية: 20]؛ (أقول): احذروا...

لكنّ "أوستين" لمّا أخذ يدقّق في طبيعة أفعال الكلام، اكتشف أنّها متعدّدة الجوانب، ومختلفة الدلالات، ومتباينة في الصيغ والأشكال، لذلك قام بعملية تصنيفية لهذه الأفعال؛ هذا التصنيف جاء على حسب الصيغة Mode، وجاء من جهة أخرى حسب المضمون Contenu.[25]

- **من حيث الصيغة**: يرى "أوستين" أنّ الفعل الكلامي مركّب من ثلاثة أفعال، تعدّ جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر إلّا لغرض الدرس وهي:[26]

- **الفعل اللفظي (locutionary act)**: وهو يتألّف من أصوات لغوية، تنتظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدّد، وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.
- **الفعل الإنجازي (Illocutionary act)**: وهو ما يؤدّيه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.
- **الفعل التأثيري (Perlocutionary act)**: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.

وقد فطن "أوستين" إلى أنّ الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلّا به، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا، فمنها مالا تأثير له في السامع، فوجّه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي، حتّى غدا لبّ هذه النظرية، فأصبحت تُعرف به أيضا، فتسمّى أحيانا: النظرية الإنجازية.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أنّ الفعل التأثيري إنّما يشكّل قاسما مشتركا بين البلاغة والتداولية، فكلا الحقلين يرتكزان على مسألة التأثير في السامع، ودفعه للاستجابة إلى هذا التأثير، وتلك نقطة أخرى تثبت التواشج القائم بين العلمين.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- **بحسب المضمون:** قدّم "أوستين" تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس من قوّتها الإنجازية (Illocutionary force)، يشتمل على خمسة أصناف، ولم يتردّد في القول بأنّه غير راضٍ عن هذا التصنيف:[27]

- **أفعال الأحكام (Verdictives):** وهي التي تتمثّل في حكم يصدره قاضٍ أو حكم.
- **أفعال القرارات (Exercitive):** وتتمثّل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد، والحرمان والتعيين.
- **أفعال التعهّد (Commissives):** وتتمثّل في تعهّد المتكلّم بفعل شيء، مثل: الوعد، والضمان، والتعاقد والقسم.
- **أفعال السلوك (Behabitives):** وهي التي تكون ردّ فعل لحدث ما كالاعتذار، والشكر، والمواساة، والتحدي.
- **أفعال الإيضاح (Expositives):** وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل: الاعتراض، والتشكيك، والإنكار، والموافقة، والتصويب، والتخطئة.

على أن ما قدّمه "أوستين" لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، لكنّه كان كافيا ليكون نقطة انطلاق إليها، بتحديده لعدد من المفاهيم الأساسية فيها، وبخاصّة مفهوم الفعل الإنجازيّ الذي أصبح مفهوما محوريا في هذه النظرية، حتّى جاء "جون سيرل" فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها، وكان ما قدّمه عن الفعل الإنجازيّ والقوّة الإنجازيّة كافيا لجعل الباحثين يتحدّثون عن "نظرية سيرل في الأفعال الكلامية"، بوصفها مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق عند أوستين.[28]

إذن، فقد كان "سيرل" أوّل من أوضح فكرة "أوستين" السّابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كلّ فعلٍ، إلى جانب بيانه شروط تحوّل فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات إنتاج الفعل المقصود. فقول من في المكتب: "تركتَ الباب مفتوحا" لمن يدخل عليه، يخضع إلى جملة خطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازه، منها:

- إنّ الضّجيج في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ⟵ فهو يأمرني بإغلاقه.
- المكتب مكيّف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا⟵ فهو يطلب منّي (بشكل ما) إغلاقه.
- من الأدب أن تغلق الباب كما وجدته مغلقا حال دخولك ⟵ فهو يعاتبني على سوء سلوكي.

أو ما نجده في إجابة أستاذ تخصُّصٍ ما في الجامعة، لمن يسأل عن مدى استعداد ابنه الطالب لدراسة ذلك التخصّص، بقوله: "إنّ الطالب المذكور لاعب كرة ممتاز".. فيدرك السائل مضمون الإجابة، بأنّ ابنه غير موفّق في هذا التخصّص، كما يجد توجيها آخر، وهو الأفضل أن يشتغل بالكرة.[29]

وممّا قدّمه "سيرل" أيضا أنّه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميّز بين أربعة أقسام هي: فعل التلفّظ (الصوتي والتركيبي)، الفعل القضوي (الإحالي والجملي)، الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين)، الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين).[30]

ولكن سرعان ما أعاد "سيرل" اقتراح خمسة أصناف لها هي:[31]

- **الأخبار assersifs:** (تبلغ خبرا، وهي تمثيل للواقع)، وتسمّى أيضا التأكيدات، الأفعال الحكمية.
- **الأوامر directifs:** (تحمل المخاطب على فعل معيّن).
- **الالتزامية commissifs** (أفعال التعهّد): وهي أفعال التكليف عند "أوستين"، حين يلتزم المتكلّم بفعل شيء معيّن.
- **التصريحات expressifs:** وهي الأفعال التمرّسيّة عند "أوستين"، وتعبّر عن حالة مع شروط صدقها.
- **الإنجازيّات déclarations** (الإدلاءات): تكون حين التلفّظ ذاته.

كما أنّه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازيّ، منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته السّيكولوجيّة، ...وسمّاها شروط النّجاح، وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة لـ "غرايس"، ووسّع مفهوم الفعل الإنجازيّ ليتجاوز ارتباطه

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالمتكلّم إلى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل للقوّة الإنجازيّة أدلّة عليها: (تقديم، تأخير، نبر، تنغيم، علامات ترقيم،...)[32]

كما استطاع "سيرل" أن يميّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة direct والأفعال الإنجازية غير المباشرة indirect، فبيّن أنّ الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوّتها الإنجازية مراد المتكلّم، أي يكون ما يقوله مطابقا لما يعنيه **[وهذا ما يعرف في البلاغة القديمة بالمعنى الحقيقي لأسلوب الكلام خبرا كان أم إنشاء]**، أمّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوّتها الإنجازية مراد المتكلّم **[وهذا ما يعرف في البلاغة القديمة بالمعنى المجازي لأسلوب الكلام خبرا كان أم إنشاء]**، وقد ذكر "سيرل" المثال الآتي بيانا للأفعال الإنجازية غير المباشرة؛ إذ قال رجل لرفيق له على المائدة: هل تناولني الملح، فهذا فعل إنجازي غير مباشر؛ إذ قوّته الإنجازية الأصلية تدلّ على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل الاستفهام "هل"، لكن الاستفهام غير مراد المتكلّم، بل هو طلب مهذّب، يؤدّي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح.[33]

والأفعال الإنجازية غير المباشرة عند "سيرل" لا تدلّ هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنّما الزيادة فيما أطلق عليه "سيرل" معنى المتكلّم، وقد لفت إلى أنّ السامع يصل إلى معنى المتكلّم من خلال القواعد التي يقوم عليها مبدأ التعاون عند "غرايس" [الكميّة، الكيفية، العلاقة، والصّيغيّة] (نظرية الاستلزام الحواري)، أو بما أسماه "سيرل" استراتيجية الاستنتاج.[34]

وقد لاحظ "سيرل" بعد مناقشته لعدد كبير من الأفعال الإنجازية غير المباشرة، أنّ أهمّ البواعث إلى استخدام الأفعال المباشرة هو التأدّب في الحديث، كما لاحظ بعض الباحثين أنّ كلّ الأفعال الكلامية غير مباشرة فيما عدا الأفعال الأدائية الصريحة، فنحن نتواصل بها أكثر من تواصلنا بغيرها.[35]

3. علاقة البلاغة العربية القديمة بالدرس التداولي الحديث:

1.3 البلاغة والتداولية- بين الائتلاف والاختلاف:

نظرا للعلاقة القائمة بين البلاغة العربية القديمة والدرس التداولي الحديث، نتج عن هذا التلاقح نظرية بينية تدعى: **البلاغة الجديدة**، حيث فرضت نفسها لا بوصفها علما يهتمّ بالجوانب التخيلية واللمسات الجمالية للغة، بل بوصفها «نظرية مقصدية تداولية؛ تعتني بالخطاب من حيث هو موضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له، وعلاقة حوارية مع مخاطَب أو مرسل إليه».[36]

وذلك من منطلق كون التداولية تسعى نحو الإجابة عن سلسلة من التساؤلات هي: من يتكلّم؟ وإلى من يتكلّم؟ ومع من يتكلّم؟ ولأجل من يتكلّم؟ ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ هل يمكننا الركون إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أيّ مقياس يحدّد قدرة الواقع الإنساني اللغوية؟[37]

ولعلّ شدّة وثاقة البلاغة بالتداولية هو الذي حمل "ليتش" لأن يعترف بأنّ «البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنّها ممارسة الاتّصال بين المتكلّم والسامع، بحيث يحلّان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محدّدة للتأثير على بعضهما».[38]

وعليه، تتّفق البلاغة والتداولية في دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلّم في عملية التّواصل، وعوامل المقام المؤثّرة في اختياره أدوات معيّنة دون أخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلّم والمخاطَب على الكلم والمقاصد من الكلام، حيث تعتمد على مبدأ وظيفي تداولي، يقوم على رصد خصائص تراكيب اللغة في علاقتها بمقامات إنجازها من جهة، وأغراضها التواصلية التي وُضعت لأجلها من جهة أخرى، والتي يسعى المتكلّم من ورائها إلى توضيح قصده، والكشف عن مراده.[39]

لأجل ذلك نجد من يعرّف البلاغة بكونها «فنّ القول بشكل عام، أو فنّ الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، ممّا يجعلها مجرّد أداة نفعية ذرائعية».[40]

هذا، وإذا كانت التداولية تدرس اللغة وقت الاستعمال، فإنّ البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء الاستعمال، ويتقاطعان ـ

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

كما أسلفنا ــ في الاعتماد على اللغة، بعدّها أداة لممارسة الفعل اللغوي على المستمع (المتلقّي) في سياقات مناسبة، ومراعاة لكلّ مقام مقال في العملية التواصلية، لأنّ اللغة وسيلة للتعبير عن الأغراض والمعاني ذات القيمة النفعية، فهما علمان يهتمّان بكلّ أشكال التفاعل الخطابي، وبالعملية التواصلية في كلّ أبعادها الاجتماعية والإيديولوجية والنفسية.(41)

إنّ العلاقة بين البلاغة والتداولية تتمثّل في رصد كيفيات إيصال المعنى إلى المتلقّي (القارئ)، لأنّه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة، ولابدّ من أن يتمكّن من فكّ شفرة هذه الرسالة، ولا يكون ذلك إلّا بإعادة تحليلها وفق الفهم، وفهم البلاغة يعني فهم التداولية.(42)

ثمّ إنّ غاية الأديب هي إفهام المرسل إليه (القارئ) من خلال تحديد السياق؛ فالسياق بنوعية اللغوي والمقامي ضروريان في البلاغة والتداولية؛ ذلك أنّ المعنى لا يرتبط بالكلمة فقط وهي في حالة الإفراد، وإنّما يعني دخولها في علاقات متبادلة مع كلمات أخرى تختلف معها، وتتشابه لأداء المعنى التركيبي، حيث يقصد بالسياق اللغوي: الإطار الداخلي أو البنية الداخلية للغة دون الرجوع إلى المجتمع، وللأشكال البلاغية أثر على المتلقّي بالاستناد إلى المقام، على اعتبار أنّه الذي يمكّننا من فهمها فهما لغويا جماليا تواصليا، وذلك عند محاولة تحديد موقعها لحظة الإلقاء أو الكتابة، فلابدّ من السعي إلى تمثّل المقام الذي أنجبها، هذا إذا أردنا أن تكون قراءتنا صحيحة، وتفتح المجال على قرائية أخرى.(43)

في الأخير يمكن القول: إنّ البلاغة هي «الأفق المنشود، والملتقى الضروري للتداولية وعلم النّصّ والسيميولوجيا، وهي النموذج المؤمّل عليه للعلم الإنساني في إطاره الشامل الجديد».(44)

وقبل أن نبرح هذه العنصر ونتجاوزه إلى غيره، يستوقفنا في هذا المقام الانشغال التالي: **هل للدرس التداولي فعلا معالم في حقل البلاغة القديمة؟**

على الرغم من أنّ المنهج التداولي مبحث حديث، لم يعرفه البحث اللغوي مستقلّا ذو منهج واضح إلّا في النّصف الثاني من القرن العشرين، إلّا أنّ جذوره قديمة؛ إذ استعمله النحّاة واللغويون وعلماء البلاغة، وإن كان ذلك من دون تنظير ولا تقعيد، إلّا أنّ معالمه كانت بادية في عناية البلاغيين خصوصا بنظرية السياق غير اللغوي، وفي توضيح التركيب، وتجويز الحذف والذكر، ومباحث التقديم والتأخير، وكذا في اهتمامهم بفكرة المقام من منطلق أنّه "لكلّ مقام مقال"، ثمّ إنّ ارتكاز علماء البلاغة تحديدا على عوامل: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، عملية التأثير والتأثّر، القصد ونوايا المتكلّم، والفائدة من الكلام والإفهام وغيرها من العناصر التي ركّز عليها علماء التداولية أيضا، يجعل البلاغة تحمل في طيّاتها ملامح الدرس التداولي الحديث(45)، أو بطريقة أخرى أنّ معالم التداولية ضاربة منذ القدم في الدرس البلاغي، الأمر الذي يثبت وجود تكامل وتقاطع معرفي بين الحقلين (أخذ وعطاء). وفي هذا الصدد نجد الباحث "جمال حضري" يؤكّد هذه المسألة قائلا: «يرتبط البعد التداولي بمصادرة البلاغة القديمة على منظور المخاطِب، باعتباره مناطّ تحقيق النجاعة للخطاب، وتولّدت عن ذلك جملة من الشروط المطلوب توفّرها في المتكلّم كمُبلّغ وفي الخطاب كبلاغ له، والمنبت النّفعي يبرز هذا التركيز، فقبل أن تتحوّل البلاغة إلى علم تحسيني بلاغي، كانت علما للخطاب الشفاهي، يعني بملاءمة الخطاب للمقام، ثمّ أصبحت بحثا في ملاءمة الشكل للموضوع، وبهذا الاعتبار لم تكن المقاربة التداولية غريبة عن البلاغة قبل تحوّلها، وقد كانت العناية بتكوين الخطيب وثقافته – وهو بعد تداولي – من اهتمامات البلاغة الخطابية، والبيان والتبيين للجاحظ حافل بهذا الاهتمام».(46)

يتّضح من خلال هذا القول أنّ "الجاحظ" (ت: 255هـ) قد اهتمّ بالمقام والسياق أيّما اهتمام، بل أعطاه عناية كبيرة وركّز على دوره الفعّال في عملية التخاطب، وهو من أبرز المفاهيم التداولية التي تنبّه إليها الرجل، والذي يعدّ أحد أساطين البلاغة العربية القديمة، ممّا يدلّ دلالة قاطعة على أنّ جذور

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الدرس التداولي ضاربة منذ القدم في الفكر العربي، يقول "الجاحظ" في هذا الشأن: «... يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إمّا عند الخاصّة إن كنت للخاصّة قصدت، وإمّا عند العامّة إن كنت للعامّة أردت».(47)

كما تتجلّى ملامح التداولية أيضا في الفكر الجاحظي من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف، وتركيزه على الوظيفة التأثيرية، والتي تعدّ أهم مبحث يقوم عليه الدرس التداولي الحديث، وهذه الوظائف تتمثّل في:(48)

- **الوظيفة الإخبارية المعرفيّة التعليميّة** (حالة حياد، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).
- **الوظيفة التأثيرية** (حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة، وجلب القلوب.
- **الوظيفة الحجاجية** (حالة الخصام): إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.

ممّا يوحي بأنّ "الجاحظ" كان قد تفطّن إلى الجانب النفعي البرغماتي منذ عهده، فمعالم المقاربة التداولية تبدو واضحة جليّة من خلال نصوصه وما تحويه من أفكار، فهاهو من جهة أخرى يدعو إلى ضرورة مراعاة **حال المخاطَب ومرتبته في المجتمع**، لأنّ من شروط نجاعة الخطاب أن يخاطب المتكلّم السامع بلغته المناسبة لمقامه، خصوصا إذا علمنا أنّ الغاية المنشودة من وراء إنشاء الخطاب هي الجنوح نحو تحقيق الإقناع، هذا الأخير الذي لا يمكن حصوله إلّا بواسطة الإفهام، ولن يكون شيء من هذا إلّا من خلال مخاطبة المتلقّي بلغته. يقول "الجاحظ" في هذا السياق: «وكلام النّاس في طبقات، كما أنّ النّاس أنفسهم في طبقات»(49)، ويضيف قائلا: «ومن خصائص المتكلّم ألّا يكلّم سيّد الأمّة بكلام الأمّة، ولا الملوك بكلام السوقة»(50)، وقال أيضا في شأن ذي صلة: «... فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما».(51)

وهذا تماما ما نلفيه يتكرّر عند "أبو هلال العسكري"، إذ يقول: «لا يُكلَّم سيّد الأمّة بكلام الأمّة، ولا الملوك بكلام السوقة، لأنّ ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كلّ واحد منهما من الكلام، وأحسن الذي قال لكلّ مقام مقال».(52)

ولا نريد ههنا أن نقف على جذور الدرس التداولي عند جميع علماء البلاغة، لأنّ الأمر يطول بنا، والمقام لا يسع للمسألة، ولكن لا بأس من إشارة خاطفة إلى أنّ جلّ البلاغيين القدامى إن لم نقل كلّهم، قد تنبّهوا إلى البعد التداولي في العملية التخاطبية التواصلية، وركّزوا على فكرة المقام والإقناع والتأثير في السّامع، ومراعاة أحواله أمثال: "السكّاكي"، "ابن رشيق القيرواني"، "حازم القرطاجنّي"، "عبد القاهر الجرجاني"، "ابن قتيبة"، و"ابن سنان الخفاجي" وغيرهم كثير.

ختاما يمكن القول: إنّ الباحث في البلاغة العربية يلحظ ذلك التقارب بين كثير من مباحثها، وبين ما جاء به الدرس التداولي، وخصوصا تلك المرتكزات التي تقوم عليها أهمّ نظريات هذا الدرس وهي: نظرية الأفعال الكلامية.

وما دام أنّ البلاغة والتداولية تتّفقان – كما رأينا – في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل التأثيري على المتلقّي؛ على أساس أنّ النّصّ اللغوي في جملته إنّما هو "نصّ مبني في موقف" فإنّ هذا التداخل يجعل من العلم الذي يختصّ بدراسة اللغة ينضمّ إلى هذه الثنائية، ليشكّل معها قطبا ثلاثي الأبعاد، وهذا ما يمكن توضيحه من خلال الجدول المصمّم في الملاحق أسفله.

2.3 أمثلة توضيحية عن صلة الدرس البلاغي القديم بالدرس التداولي الحديث:

نقدّم فيما يلي نماذج متفرّقة من القرآن الكريم، لبيان التقاطع المعرفي بين البلاغة والتداولية، واستفادة الحقل الثاني من مباحث الأوّل:

- قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ **[سورة مريم، الآية: 04].**

يبدو من الوهلة الأولى أنّ الخبر الطلبي في هذه الآية جاء لأداء الغرض الذي وُضع له الأسلوب في الأصل (المعنى الظاهري المباشر)، لكن إذا أمعنّا النظر أكثر، وقلّبنا الآية في

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أذهاننا، سيتّضح لنا أنّ الخبر قد خرج إلى معنى بلاغي آخر (المعنى المضمر المبطّن)، فهو ههنا ليس على سبيل الحقيقة؛ أي أنّ المخاطِب وهو زكريا عليه السلام لم يأت من خلال هذا الخبر بجديد للمخاطَب؛ أي لا يقصد منه الإفادة أو لازمها، ولا يُراد من صاحبه تصديق فحواه أو إبطاله، لأنّه يخاطب الله سبحانه وتعالى العالم بكلّ شيء، وإنّما جاء على سبيل المجاز، ليتلبّث نطاق دلالي آخر يستدعيه السياق ألا وهو: إظهار الضعف. يقول صاحب تفسير "فتح القدير" مؤكّدا هذا الكلام: «أراد أنّ عظامه فترت وضعفت قوّته، وذكر العظم لأنّه عمود البدن وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوّته، ولأنّه أشدّ ما في الإنسان صلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحد العظم قصدا إلى الجنس المفيد، لشمول الوهن لكلّ فرد من أفراد العظام».(53)

- وقال أيضا: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 50].

على الرغم من توافر الآية على فعل أمر صريح، إلّا أنّ القصد منه (البنية العميقة) مخالف للمقصد (البنية السطحية)، بمعنى أنّ الأمر هنا لا يدلّ على طلب القيام بالفعل على وجه الإلزام والاستعلاء، لأنّ هذا هو معناه الحقيقي المباشر، غير أنّ المقام يتدخّل بطريقة أو بأخرى في الانحراف بالدلالة عن الغرض الذي تقتضيه ألفاظ الآية وعبارتها التلفّظيّة، إلى غرض بلاغي آخر (الفعل الإنجازي غير المباشر).

إذن، يمثّل الأمر في الآية فعلا إنجازيا مخالفا لحرفية ما يحمله تركيبها من معنى استلزمه السياق، واقتضته قرائن الأحوال المختلفة، فعُقد الكلام من أجله، كونه يمثّل معنى إضافي قابع وراء المعنى الأصلي (ظاهر الكلام)، وحيال ذلك خرج أسلوب الأمر إلى غرض التعجيز، ويتحقّق هذا في حالة ما إذا كان الأمر يستحيل القيام به، لأنّ المأمور يعجز أن ينفّذ ما أُمر به، فيجيء الأمر على وجه التحدّي. يشير "البغوي" في تفسيره لنصّ الآية إلى هذا المعنى قائلا: «قل لهم يا محمّد كونوا حجارة أو حديدا في الشدّة والقوّة، وليس هذا بأمر إلزام، بل هو أمر تعجيز؛ أي استشعروا في قلوبكم أنّكم حجارة أو حديدا في القوّة».(54)

- ويقول عزّ وجلّ في موضع آخر: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 66].

صحيح أنّ ظاهر التركيب هو عبارة عن إنشاء لا خبر، جاء بصيغة النهي، لاستهلاله بأداة "لا الناهية"، غير أنّ باطنه يحمل في طيّاته دلالة مغايرة عمّا تكشفه لنا بنيته السطحية.

معلوم أنّ النهي إذا كان صريحا فهو يدلّ على طلب الكفّ عن القيام بالفعل على وجه الإلزام والاستعلاء، غير أنّ المقام ههنا عدل بالأسلوب إلى غرض ضمني آخر؛ أوّلا لأنّ الأداة الناهية فيه لم تعد تحيل على دلالة المنع، وثانيا لأنّ الطلب فيه لا على وجه الإلزام والاستعلاء، ما جعله يخرج إلى معنى آخر ألا وهو غرض: التيئيس، هذا الأخير الذي يكون سياق النهي فيه يفيد عدم الجدوى، ولعلّ هذا ما ذهب إليه "الزمخشري" حينما قال: «لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة، فإنّها لا تنفعكم بعد ظهور سرّكم».(55)

حينما تكون القوّة الإنجازية للتركيب غير مطابقة لما يريده المتكلّم ويقصده، فأكيد سيكون الغرض من الكلام حينئذ مخالفا لظاهره، يحدث هذا حينما يشهد أسلوب الاستفهام مثلا خروجا عن معناه الأصلي المعهود والمتمثّل في طلب الفهم إلى معنى بلاغي آخر، تماما مثلما هو الحال مع قول المولى جلّ وعلا: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [سورة هود، الآية: 87].

واضح من خلال سياق الآية أنّ المقصود بالاستفهام الوارد فيها (أَصَلَاتُكَ) هو ما تستلزمه ألفاظها من معنى (الدلالة الباطنية الخفيّة)، لا المعنى الحرفي لها (الدلالة الظاهرية السطحية)، ليخرج الأسلوب بهذا من معنى الاستجواب، إلى معنى التهكّم والازدراء، وهذا ما عزّزه "الصابوني" حينما قال مفسّرا الآية الكريمة: «لما أمرهم شعيب عليه السلام بعبادة الله،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وترك عبادة الأوثان، وبإيفاء الكيل والميزان، ردّوا عليه على سبيل السخرية والاستهزاء، فقالوا: أصلاتك تدعوك لأن تأمرنا بترك عبادة الأصنام التي عبدها آباؤنا؟ إنّ هذا لا يصدر عن عاقل».[56]

كما إذا رأيت معتوها يطالع كتبا، ثمّ تجده يتلفّظ بكلام فاسد ساقط، فتقول له متهكّما: أهذا من مطالعة تلك الكتب؟

- يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **[سورة الأنعام، الآية: 27].**

عندما تكون القوّة الإنجازية الحرفية (الفعل الكلامي المباشر) للكلام المنطوق مطابقة للمعنى الذي يقصده صاحب الكلام، فممّا لاشكّ فيه أنّ الغرض من هذا الكلام لن يخالف مقتضى الظاهر، بل سيحافظ على المعنى ذاته الذي يمكن أن يُستشفّ من خلال الشكل الظاهري لبنيته السطحية، تماما مثلما هو الحال في الآية أعلاه.

إنّ الآية 27 من سورة الأنعام تتحدّث عن تمني الكفرة يوم الحساب أن يرجعوا إلى الدنيا ليؤمنوا بالله، ويستدركوا ما فاتهم من العبادات، وما فرّطوا في جنب الله، ومعلوم أنّ التمنّي هو الرغبة الشديدة في الحصول على أمر يُستَبْعَدُ حصوله أصلا، إمّا لأنّ تحقُّقَه مستحيل، وإمّا لكونه بعيد المنال فلا يُحصل عليه، ممّا يعني أنّ العودة إلى الدنيا أمر مستحيل، هذه هي الدلالة التي تظهر من خلال البنية اللغوية لنصّ الآية، وهي الدلالة عينها المراد إيصالها إلى جمهور المخاطبين، فالخطاب هنا لا يقول شيئا، ويَقصِد شيئا آخر غير ما قاله.

يقول "ابن كثير" مفسّرا الآية: «يتمنّون أن يُردّوا إلى الدار الدنيا، ليعملوا عملا صالحا، ولا يُكذّبوا بآيات ربّهم، ويكونوا من المؤمنين».[57]

- من المواضع الأخرى التي تكون فيها للقوّة الإنجازية المستلزمة الغلبة عن القوّة الإنجازية الحرفية قوله تعالى: ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾. **[سورة يس، الآية: 30].**

إذن، الظاهر من خلال سياق الآية أنّ النداء الوارد فيها لا يمثّل فعلا كلاميا مباشرا، أي طلب الإقبال تنبيها للمخاطَب، وذلك لعدم وجود مطابقة تامّة بين ما يقتضيه المعنى الحرفي للبنية اللغوية السطحية، وغرض الصيغة أو العبارة التلفّظية، والنداء هنا إنّما يمثّل وجها من أوجه العدول الدلالي في القرآن الكريم.

إنّ غرض التعجّب الذي خرج إليه أسلوب النداء في هذه الآية، هو غرض استدعته قرائن الأحوال، واستحضرته مختلف السياقات والمقامات المحيطة بنصّها، وذلك نظرا لمخالفة معنى الآية لما يقتضيه ظاهرها، وما دام أنّ النداء يكون بغرض التنبيه، فهو لا يصلح لأن يكون ملازما للحسرة، لكونها شيء معنوي لا يُنادى، ممّا يعني أنّ النداء فعلا لم يوضع في سياقه الأصلي، فإذا أردت التنبيه ناديت شخصا قادرا على الاستجابة، لا شيئا معنويا جامدا، لذا خرج مدلول النداء إلى غرض التعجّب، ولو كانت الحسرة ممّا يصحّ نداؤه لكان هذا وقتها، يقول صاحب "المحرز الوجيز" في شأن ذي صلة: «يا حسرة نداء لها على معنى هذا وقت حضورك وظهورك، هذا تقدير نداء».[58]

4. خاتمة:

بعد هذه الجولة في رحاب الدرسين البلاغي القديم والتداولي الحديث، نصل في نهاية المطاف إلى استخلاص جملة من النتائج، يمكن رصد أبرزها في النقاط التالية:

- ✓ إنّ معرفة المقام الذي يُلقى فيه المقال، وكذا حال المتكلّم والمتلقّي أثناء التلفّظ، إلى جانب مسألة المقصديّة، كلّها عوامل تراعيها البلاغة أثناء الخطاب، وهو ما يقابله تداوليا بالتركيز على مستعملي اللغة، وسياقات الاستعمال المختلفة؛ أي استخدام اللغة كما يقرّرها سياق المجتمع، فالبلاغة المعاصرة تهتمّ بعناصر الخطاب ومقاماته المختلفة، وفق آليات حجاجية بلاغية تداولية، كما يعتمدان معا على اللغة كأداة للتواصل وممارسة فعل التأثير على المتلقّي، ليكون الفعل اللغوي فعلا تأثيريا إنجازيا نفعيا.
- ✓ تعدّ التداولية من أقرب العلوم الحديثة للبلاغة، خاصّة وأنّها تدرس علاقة العلامات بالاستعمال، وهذا تماما ما اهتمّت

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

به البلاغة العربية قديما؛ إذ كانت تبحث في كيفية استعمال أنجع للخطاب اللغوي وعوامل تجذيره.

✓ توجد عديد التراسلات والتفاعلات بين البلاغة العربية والتداولية، نلمس ذلك من خلال تداخل الأنساق المعرفية المتعلّقة بمقام السّامع في البلاغة العربية، مع الأنساق المعرفية التي تطرحها التداولية، ما يؤسّس لشراكة حقيقية بين الحقلين، وانبثاق مجال عربي صرف نُطلِق عليه اسم: البلاغة الجديدة.

✓ لعلّ من أبرز تلك التقاطعات ما يُعرف بنظرية الأفعال الكلامية؛ فالفعل الكلامي المباشر (القوّة الإنجازيّة الحرفية) يقابل بلاغيا الغرض الحقيقي للأسلوب الكلامي خبرا كان أم إنشائيا، ففيه يتطابق الكلام مع مقتضى الظاهر، أمّا الفعل الكلامي غير المباشر (القوّة الإنجازيّة المستلزمة) فيقابل بلاغيا الغرض المجازي الذي خرج إليه الكلام خبرا كان أم إنشاء، لأنّ العبارة التلفّظيّة فيه تكون مخالفة لما يقتضيه الحال.

✓ العلاقة إذن وشيجة بين البحث البلاغي القديم والمفاهيم التداولية المعاصرة، لارتباطهما أوّلا باستعمال اللغة، وما ينتج عنهما ثانيا من أساليب تخرج إلى أغراض تُفهم من السياق وتستنبط من المقام، هذا وقد انتبه البلاغيون قديما إلى فكرة المقام، ودوره في التخاطب، انطلاقا من المقولة الشهيرة: لكلّ مقام مقال.

✓ وقد كان الإمام "الجاحظ" أوّل علماء البلاغة الذين وظّفوا القواعد التي تنبني عليها التداوليّة اليوم في الدرس البلاغي، على غرار اهتمامه بالمقام وأحوال المخاطَب، ومسألة التأثير في السامع، وغيرها من معالم التداوليّة التي يزخر بها كتابه الشهير "البيان والتبيين"، ليفتح بذلك المجال أمام عدد كبير من البلاغيين الذين جاؤوا من بعده؛ إذ كانت لهم إسهامات طيّبة في هذا المجال أمثال: أبو هلال العسكري، السكّاكي، ابن رشيق القيرواني، حازم القرطاجنّي، عبد القاهر الجرجاني، ابن سنان الخفاجي وغيرهم.

✓ بناء على النتائج السابقة صار من الممكن القول: إنّ اللغة العربيّة حاوية العلوم؛ إذ تتميّز بقدرتها الهائلة على احتواء مختلف المعارف والفنون، لما تملكه من كفاية تجعلها قادرة على التعبير عن مختلف البنى التصوّريّة والتمثّلات الذهنية، سواء أكان ذلك في العلوم الإنسانية أو على مستوى العلوم الدقيقة، فهي تتسم بمرونة تسمح لها بصياغة الجهاز المصطلحي والحقل المفاهيمي لكلّ مخرجات العمل العلمي والمعرفي.

5. قائمة المراجع:

(1)- مجمع اللغة العربية، (1426هـ/ 2005م)، المعجم الوسيط، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4، مادّة "بَلَغَ".

(2)- العسكري، أبو هلال، (2006م)، كتاب الصناعتين، تح: علي محمّد البجاوي، ومحمّد أبو الفضل، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، دط، ص6.

(3)- الهاشمي، السيّد أحمد، (دس)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، دط، ص ص40-41.

(4)- المرجع نفسه، ص ص41-42.

(5)- نفسه، ص43.

(6)- بكري، شيخ أمين، (1999م)، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ج1، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط6، ص53.

(7)- نفسه، ص ن.

(8)- الجازم، علي، والأمين، مصطفى، (1999م)، البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، دب، دار المعارف، ص ص139- 140.

(9)- عبّاس، فضل حسن، (1417هـ/ 1997م)، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ج1، إربد، الأردن، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، ص106.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(10)- القزويني، جلال الدّين محمّد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمّد الخطيب، (1424هـ/ 2003م)، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، تح: إبراهيم شمس الدّين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ص ص28- 29.

(11)- بكري، شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ج1، ص53.

(12)- الحسيني، جعفر السيّد باقر، (1427هـ/ 2006م)، أساليب المعاني في القرآن، دب، مؤسّسة بوستان كتاب، ط1، ص50.

(13)- ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل محمّد الأنصاري الإفريقي المصري، (1994م)، لسان العرب، مج11، بيروت، لبنان، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، مادّة "دَوَلَ".

(14)- عبد الرحمن، طه، (خريف 1988م)، اللسانيات والمنطق والفلسفة، مجلّة دراسات سيميائية أدبية لسانية (دراسات سال)، الدار البيضاء، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، ع2، ص121.

(15)- عبد الرحمن، طه، (2000م)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، ص27.

(16)- عبد الرحمن، طه، (دس)، تجديد المنهج في تقويم التراث، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، ص244.

(17)- نحلة، محمود أحمد، (2002م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية، دط، ص9.

(18)- المرجع نفسه، ص ص9- 10.

(19)- شينر، رحيمة، (1429هـ، 1430هـ/2008م، 2009م)، تداولية النص الشعري "جمهرة أشعار العرب نموذجا"، إشراف: عبد القادر دامخي، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة01، الجزائر، ص149.

(20)- المرجع نفسه، ص152

(21)- نفسه، ص ص152- 153

(22)- روبل، آن ، وموشلير، جاك، (2003م)، التداولية اليوم، تر: سيف الدّين دغنوس ومحمّد الشيباني، بيروت، لبنان، دار الطليعة، ط1، ص31.

(23)- ينظر: دلاش، الجيلالي، (1996م)، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمّد يحياتن، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، ص ص23- 24.

(24)- بوجادي، خليفة، (2012م)، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، ص78.

(25)- ينظر: صحراوي، مسعود، (دس)، التداولية عند علماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، حسين داي، الجزائر، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، ص8.

(26)- نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص45- 46.

(27)- المرجع نفسه، ص 46.

(28)- نفسه، ص47.

(29)- بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص ص79- 80.

(30)- المرجع نفسه، ص80.

(31)- نفسه، ص ص80- 81.

(32)- نفسه، ص81.

(33)- ينظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص 50- 51.

(34)- ينظر: المرجع نفسه، ص51.

(35)- نفسه، ص51.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

(36)- فضل، صلاح، (1992م)، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ومطبعة دار السياسة، دط، ص89.

(37)- أرمينكو، فرانسو، (دس)، المقاربة التداولية، تر: سعيد علّوش، بيروت، لبنان، مركز الإنماء القومي، دط، ص7.

(38)- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ ، ص89.

(39)- رحيم، يوسف، (ديسمبر 2019م)، التكامل المعرفي بين البلاغة والتداولية "من بلاغة الصورة إلى بلاغة المتكلّم"، مجلّة المدوّنة، مجلّة أكاديمية محكّمة نصف سنوية، قسم اللغة والأدب العربي، كليّة الآداب واللغات، جامعة البليدة 02، الجزائر، مج6، ع3، ص551.

(40)- بوقرّة، نعمان، (2003م)، المدارس اللسانية المعاصرة، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، دط، ص170.

(41)- لعويجي، عمار، (سبتمبر 2017م)، علاقة البلاغة بالتداولية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مجلة دورية أكاديمية نصف سنوية متخصّصة، قسم اللغة والأدب العربي، كليّة الآداب واللغات، جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر، ع12، ص248.

(42)- المرجع نفسه، ص250.

(43)- نفسه، ص251.

(44)- نفسه، ص253.

(45)- ينظر: بن زرّوق، سامية، (جانفي 2013م)، بين البلاغة العربية والتداولية، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مجلّة علمية فصلية متخصّصة محكّمة، مركز الحكمة للبحوث والدراسات، الجزائر، مج1، ع1، ص ص271-272.

(46)- الحضري، جمال، (2010م)، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، بيروت، لبنان، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتوزيع، ط1، ص209.

(47)- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1395هـ/ 1975م)، البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام محمّد هارون، مصر، مكتبة الجاحظ، ط4، ص136.

(48)- المرجع نفسه، ج1، ص75.

(49)- نفسه، ج1، ص144.

(50)- نفسه، ج1، ص92.

(51)- نفسه، ج1، ص138.

(52)- العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص24.

(53)- الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد، (1428هـ/ 2007م)، فتح القدير (الجامع بين فنّي الرواية والدّراية من علم التفسير)، ج16، تح: يوسف الغوش، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، ص882.

(54)- البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود، (1411هـ/ 1991م)، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، مج5، ج15، تح: سليمان مسلم الحرش وآخرون، الرياض، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، دط، ص98.

(55)- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، (1430هـ/ 2009م)، تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج10، تح: خليل مأمون شيحا، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، ص440.

(56)- الصابوني، محمّد علي، (1402هـ/ 1981م)، صفوة التفاسير، مج2، ج12، بيروت، لبنان، دار القرآن الكريم، ط4، ص29.

(57)- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، (1423هـ/ 2002م)، تفسير القرآن العظيم، مج2، بيروت، لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، مكتبة دار الزيان، ط1، ص1049.

(58)- ابن عطيّة، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب الأندلسي، (1422هـ/ 2001م)، المحرز الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ج4، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ص 452.

6. الملاحق:

يمكن تلخيص العلاقة التي تجمع البلاغة العربيّة بالدرس التداوليّ، وصلتهما معا بعلم اللغة، من خلال هذا الجدول:

البلاغة	التداوليّة	علم اللغة
- الغرض الحقيقيّ الذي وُضع من أجله الأسلوب الكلاميّ؛ خبرا كان أم إنشاءً. - مطابقة الكلام لمقتضى الحال	- المعنى الظاهر. - الفعل الكلاميّ المباشر. - التصريح بالكلام - القوّة الإنجازيّة الحرفية (معنى الاقتضاء). - مطابقة القوّة الإنجازيّة لمراد المتكلّم.	- المبنى - البنية السطحيّة - السياق اللغويّ
- الغرض المجازيّ (خروج الأسلوب إلى معان سياقية وأغراض بلاغية، غير تلك التي أُنشئ لها في الأصل. - مخالفة الكلام لمقتضى الظاهر. - اللغة (سياق الحال).	- المعنى الباطنيّ الخفيّ (الدلالة المضمرة). - الفعل الكلاميّ غير المباشر. - التلميح بالكلام. - القوّة الإنجازيّة المستلزمة (معنى الاستلزام). - مخالفة القوّة الإنجازيّة لمراد المتكلّم. - المقام (سياق الموقف).	- المعنى - البنية العميقة -السياق غير اللغويّ

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)